

حديث مع الشاعر نزار قباني

المقدمة: ٢ دقائق وتسع ثوان

مقدمة:

في كل زاوية من الأرض له وقفة وكلمات من القلب والكل حتى في غربته
لا ينفصل ابدا عن دمشق وما يليها والغوطة والغوطتين والأنهر السبعة. احبّ امه
وأحب المرأة فاذا شعره بوح لقضية وشذا وردة وتمرد فتاة شرقية على التقاليد. طاف
الشرق والغرب في عمله كدبلوماسي فأثرت هذه التجربة بنفسه شعوره بالجمال
وبالاناقة وترسّبت بلا شعوره صور غرناطة ومدّ بني امية في الاندلس وضباب لندن
وسور الصين العظيم. اليوم كلمته سيف وشعره ثورة وتمردّ وحنينه الى الحق ، صدق.
نرجع الى العام ١٩٢٦، صورة طفل طويل الشعر ينزع الى الجمال وتمر خمس
سنوات وهذا هو نفس الطفل وفي اليدين ورود. وتبقى هذه الصورة في خياله ،
صورة الطفولة السعيدة ويكتب رسائل الى امه ليقول هذه القصيدة :

صباح الخير .. يا حلوة ..

صباح الخير .. يا قديستي الحلوة..

مضى عامان يا أمي

على الولد الذي أبحر

برحلته الخرافية

وخبأ في حقائبه ..

صباح بلاده الأخضر

وأنجمها، وأنهرها، وكلّ شقيقها الأحمر..

وخبأ في ملبسه
طرابينا من النعناع والزعتر
وليلكة دمشقية
أنا وحدي ..
دخان سجائري يضجر
ومني مقعدي يضجر
واحزاني عصافير، تفتش بعد عن بيدر
عرفت نساء أوروبا..
عرفت عواطف الاسمنت والخشب
عرفت حضارة التعب ..
وطفت الهند، طفت السند،
طفت العالم الأصفر..
ولم أعر ..
على امرأة تمشط شعري الاشقر
وتحمل في حقيبتها اليّ عرائس السكر
وتكسوني اذا اعرى
وتنشلني اذا اعثر
أيا أمي .. أنا الولد الذي ابهر..
ولا زالت بخاطره
تعيش عروسة السكر

فكيف..فكيف.. يا امي
غدوت أبا.. ولم أكبر؟.

مرحلة الطفولة: ٧ دقائق و ١٠ ثوان

س - استاذ نزار صورتك وانت طفل جميلة جدا بشكل افكرته بنت. صورتك
وانت شعرك طويل. ليه كانوا مربينك شعرك وانت طفل؟
ج - السبب بسيط. امي انجبت خمسة اطفال ذكور بالتتابع لذلك كانت تشتهي
الانثى وحاولت ان تمنحنا خارجيا شكل الانوثة باطالة شعورنا وهذا ليس سوى نوع من
انواع التعويض

س - الام التي انجبت ٥ اولاد من هم ؟

ج - صباح وهو دبلوماسي في جاكرتا في اندونيسيا

دكتور رشيد وهو في سان باولو في البرازيل

معتز موجود الآن في دمشق

ولنا شقيقة هي هيفاء متزوجة وموجودة ايضا في دمشق وهي الاخيرة

س - الواحد لما بيقراً شعرك بحسّ بالحنين الى الطفولة وصورة دمشق القابعة
في لا شعورك وفي شعورك هل لطفولتك صدى في نفسك وفي شعرك

ج - اذا أردت ان ارسم طفولتي واذا أردت ان استعمل لغة التصوير فانا
استعير اللون الأخضر. البيت الذي ترعرعت فيه في دمشق، هو قصيدة خضراء، هو
مظلة خضراء. لا ادري اذا كنت اتيح لك في الماضي ان تدخلني منزلا دمشقيا قديما واذا لم
يتح لك فاني اتمني لك ان تدخلني الجنة. فانا لا أبالغ عندما اتحدث عن منزلي الدمشقي

القديم. فيكفي ان تفتحي بابا صغيرا من خشب الجوز في اي حارة من حارات دمشق لتمتد امامك سجادة سحرية من الف ليل وليل. ومنزلي في دمشق كان فعلا عبارة عن فردوس : ورد وريحان وماء ونوافير تبكي وتفرح وتغني بصوت ازرق وسنونو وعصافير وام حنون. هذه هي الخلفية التي تقف وراء شعري. فاذا كان في قصائدي الآن وفي دفاتري رفوف من الأخضر والأحمر والليلكي فشكرا لدمشق وشكرا لمنزلنا الذي احمله حيث سرت تحت ثيابي وفوق دفاتري.

س - الوراثة استاذ نزار بقى عندك مهمة وهي لعبت دورا في حياتك

ج - عامل الوراثة خطير ربما الناس لا يعرفون عنه شيء الا القلة من متتبعي حركة الخلق. الليثة التي اسميها ليثة الوراثة عندي جاءتني عن طريق جدي ، عم ابي ، وهو ابو خليل القباني. هذا الرجل كان فعلا عبقريا فذا، وهو بتقريب الصورة يشبه اليوم الى حد بعيد شارلي شابلن. فهذا الرجل شاعر ومؤلف ومغني وملحن وممثل وفي نفس الوقت مخرج. فتصوري رجل بهذه العبقریات مجتمعة ولد في القرن التاسع عشر وفي مدينة محافظة مثل دمشق واراد ان ينشئ مسرحا وكان يتقن الفرنسية والفارسية وترجم روايات لموليير في هذا العصر في اواخر القرن التاسع عشر. اراد هذا الرجل ان يعمل مسرح وكما تعرفين كان لا بد بالمسرح من عناصر نسائية يستعملها لاعطائها ادوار نسائية. فطبيعي، دمشق لم تكن تسمح لظهور أي امرأة في آخر القرن التاسع عشر ، فاحتمال على ذلك بالباس الصبيان ملابس نسائية، فثارت دمشق عليه. دمشق المحافظة والمتدينة وراحوا اشتكوه للوالي في اسطنبول. فقالوا : انت اذا لم تخرج ابو خليل قباني فستحدث ثورة وستنفصل سوريا عن الدولة العثمانية. فاضطر ان يطرده ، وطرد ورجم بالبندورة والبيض الفاسد وذهب الى مصر. في مصر كانت الحركة نامية اكثر، استقبله الخديوي ووضع عربته تحت تصرفه ووضع المسارح المصرية تحت تصرفه وكان ابو خليل هو النواة الاولى في بداية المسرح وكانت بداية حركة المسرح.

س - في البومك العظيم يوجد صورة لك في فانيسيا، كان عمرك في السادسة عشرة وكان ذلك في العام ١٩٣٩ هل كانت اول رحلة لك في اوروبا ؟

ج - نعم كانت هذه اول رحلة لي لاوروبا وقمنا بها بشكل رحلة مدرسية عام ١٩٣٩ وقد اعلنت الحرب العالمية الثانية ونحن هناك ولحسن حظنا، لم تدخل ايطاليا الحرب في الثلاثة اشهر الاولى، فطلبنا ترحيلنا ورحلونا ووصلنا الى بيروت والى اهلنا بسلام.

اول مراحل الدفق الشعري: ٨ دقائق و ٣٤ ثانية

س - هل تفجرت في نفسك العبقرية الشعرية وظهرت من خلال هذه الرحلة الاولى؟

ج - اول مراحل الدفق الشهري عندي بدأت تظهر وانا على الباخرة التي حملتنا الى ايطاليا ما كنت اعرف سببها. بدأت اكتب الشعر وانا على ظهر الباخرة التي حملتنا الى ايطاليا. في الماضي حاولت ان اكتشف اشياء كثيرة للتعبير عن نفسي، فبدأ الخيال الشعري بشكل عفوي ومفاجيء ، كأنه ينبوع صغير تفجر من باطن الارض ولم اجد نفسي الا وانا شاعر.

س - تذكر ايمتى كتبت اول شعر ؟

ج انا اذكر الشعر الذي كتبته ونشرته بدأ عام ١٩٤٠-١٩٤٢ في الاربعينات ، وكنت وقتها طالب في كلية الحقوق في السنة الثانية والثالثة والاخيرة وكنت جرىء وشجاع جدا وما خبيت شعر في جاروري. انا لا اؤمن في قصيدة تدفن في الجارور لانها تستحيل الى عصفور ميت داخل القفص. انا اؤمن ان الواحد ينشر ، في ناس كثير يتخاف من نشر الموقف انا اعتقد ان ما فيش عيب من ذلك اطلاقا لانه الانسان اذا اخفى انتاجه فسينكره. نحن نتطور في كل لحظة ونتقدم في كل لحظة والحياة لا تقف.

س - هل طبعت الديوان وكنت ما زلت تلميذا ؟

ج - كان ذلك زمن الحرب وانا كنت طالب وليس لدي نقود فلجأت الى الحبيبة امي ، فهي كانت البنك وكانت تجيب طلباتي من دون سؤال ، فاعطتني حوالي ٣٠٠ ليرة وكان هذا المبلغ في زمن الحرب شيء مهم، فطبعت الديوان على ٣٠٠ نسخة . كنت متحمسا

بشكل كبير حتى اني كنت اترك الجامعة واقف على باب المكاتب وشوف مين فاييت ومين طالع واذا كان اشترى الكتاب او لم يشتريه. لقد كانت حالة من حالات القلق. لقد كان هذا اسمه " قالت لي السمراء " وكان فعلا عجيبا، كان صيحة بودليزية في مدينة مثل دمشق ، كان صرخة عنيفة جدا.

س - هل كان يردو عن الحب والعاطفة ؟

ج - كان عبارة عن صرخة جيل ، كنا لا نرى المرأة الا من خلال الستائر ، وكانت المرأة عبارة عن زهرة من الحجر تتفتح وتموت وراء الجدران. كنا نبحث عن المرأة فلا نجدها كانت المرأة خرافة وكنا نخترعها، لذلك كنت اول شاعر جريء حاول ان يكسر الاسوار القديمة ويحكي بصراحة عن الحب. بالنسبة للقدماء رفضوني اطلاقا، قاومت فأنا زي القطط بسبع ارواح. كان هذا الديوان عبارة عن هزة ارضية ونفسية وعن خضة حقيقية.

س - ما حدش دافع عنك ؟

ج - طبيعي الجيل الجديد لاني كنت أعبر عن جيل او مشاعر آلاف الشباب الي هم يشعروا بنفس ما اشعر به ولسبب او لآخر لا يستطيعون ان يفعلوا شيئا. كذلك كان هناك نوعا من الصدام بين القديم الذي يرفضني والجديد الذي يعانقني.

س - طالب في الحقوق في دمشق ويكتب الشعر ويحطم أسوار اجتماعية وخرافات اجتماعية، درس الحقوق نزار قباني ما بقاش محامي وعمره ما دافع عن قضية.

ج - دافعت عن قضية هي قضية الجمال وقضية الحرية. انا اثبت بالوثائق اني دافعت عن المرأة. وأنت بتعرفي جيدا.

س - كل النساء بيعترفونك بذلك وحا تشوف ، لكن فعلا ما مارست الحمامة؟

ج - ابدأ ، انا تخرجت من كلية الحقوق في الجامعة السورية عام ١٩٤٥ وانتسبت رأسا الى السلك الدبلوماسي وذهبت في اول بعثة دبلوماسية الى القاهرة عام ١٩٤٥ مباشرة. كانت الممفوضيّة السورية في الزمّالك وما زالت.

س : دي صورة لك وانت في القاهرة. دي كانت سنة كم؟

ج - دي كانت سنة ١٩٤٦ مع المرحوم النقراشي، كان رئيس الوزراء وهذه الصورة اخذت في نادي محمد علي في القاهرة وكان النقراشي يكرّم الوزير المفوض السوري آنئذ السيد جميل مردم.

س : جميل بك مردم الّي قاعد جنب النقراشي والاستاذ نزار قبّاني واضح هنا من غير طربوش وصغير قوي باين عليك بالسّن. كان عمرك كم سنة؟

ج - حوالي ٢٢ سنة.

س - باين عليك شاب صغير. في لك صورة ثانية بالطربوش، استغربت لان هي بردو في مناسبة دبلوماسية لكن بطربوش المرّة دي، فقلت ليه هنا مش لابس طربوش وليه هنا لابس طربوش؟

ج - الحقيقة انا ضد الطرابيش وضد كل الاجواء العثمانية الّي ورثونا اياها. كنت اعتبر ان الطربوش لا هو عربي ولا هو اي شيء ابدأ. كان البروتوكول التركي يفرض اثناء تقديم اوراق الاعتماد ان الواحد يلبس الطربوش. شوفي التناقض بين الفراك والطربوش شيء من القرن العشرين وشيء من العصر الحجري، شيء مضحك.

س - هل كتبت شيئاً في القاهرة ؟

ج - اصدرت ديوان في القاهرة سنة ١٩٤٨ اسمه ؛ طفولة نهد"

التجربة التّركية: دقيقتان و ٥٩ ثانية

س - هل كتبت شيئاً في تركيا؟

ج - التجربة التركية لم تكن تجربة شعرية. قعدت في تركيا حوالي سنتين ونصف كانوا في انقره. انقره مدينة كئيبة جدا. كنت اذهب الى اسطنبول التي كانت نوعا من الهروب من ظلم انقره وتجهمها.

س - هل المكان يوحي لك بالشعر او الانسان؟

ج - تسأليني عن جمال الطبيعة وجمال اسطنبول. انا، جمال الطبيعة ما بيوحيلي شيء، انا بهمني الانسان، الانسان الممزوج بالطبيعة هو الشيء الذي يثيرني. خذي مثلا القمر بحد ذاته اذا كنت وحدي اري ان القمر وجه ابله، هو عبارة عن دائرة نحاسية، اما وقت اكون مع حبيبتي او بانتظار موعد، تتحول هذه القطعة المعدنية الى سبيكة ذهب. آلاف الغابات وآلاف الامتار لا تعادل عندي ضحكة طفل صغير. فالانسان هو القيمة الكبرى في الحياة وكل هذه الجمالات من غروب وشروق وبحار ونجوم كل شيء غير الانسان ما له قيمة. نحن القيمة وكل الاشياء غير الانسان لا قيمة لها.

س - لا تستطيع ان تتأمل الطبيعة وتنطلق بخيالك مع الطبيعة؟

ج - الطبيعة شيء ميت ما لم يمرّ عليها انسان وما لم نضف عليها. الانسان يكون نوع من العلاقات. الانسان قادر اصغر الاشياء في الدنيا بقدره قادر ويلمسة الشعر تستطيع ان تتحول الى كائنات. خذ الدبوس مثلا، قطعة معدنية خلي الواحد يحطها في شعر سيدة يتحول الى شمس. من عمل هذا؟ الانسان، خيال الانسان وتصوّراته.

س - اذن تركيا. لم يترك الانسان التركي في نفسك اي اثر؟

ج - كنت في تركيا في حالة هدنة مع الشعر.

التجربة اللّندنية ١٥ دقيقة و ٢٠ ثانية

س - بعد تركيا انتقلت الى لندن، نقله صعبة شوي. اكتشافتك للندن بعد تركيا قطعاً كان تجربة فريدة خصوصا بعد رجوعك من تركيا.

ج - انا اعتبر ان لندن كانت عبارة عن الباب العظيم الذي فتح امامي نحو الانسانية والتحضّر وقتل هذا البدوي الموجود في داخلي.

س - هل هذا البدوي قتل فعلا؟

ج - الشرقيين عندهم رسوبات كثيرة ، ارجو ان يكون قتل ، انا شاعر انه قتل. كنت بحاجة الى مدينة عظيمة مثل لندن حتى تخلصني من رسوباتي، رسوبات الرجل الشرقي، فهناك اعطتني لندن لون جديد هو اللون الرمادي ، انا كنت بحاجة الى اللون الرمادي لان سنواتنا في الشرق سنوات انفتحت الاعين على كل الاشياء، كل الاشياء واضحة وكل الزوايا حادة ، كنت ابحت عن شيء هو مزيج من السراب والحلم. انك تشوف الاشياء بكل واقعيته صعب . فلندن كانت تمنحني هل جوهر ألي بين بين ، كنت اوقات في ايام الضباب بالشتاء ضيغ بيتي وأفرح اني ضيغته ضيغ السفارة وافرح أني ضيغتها . عطتني البعد الانساني وحضرتني، وهناك كنت في صراع دائم بين الشرق والغرب ، صار في مثل توفيق الحكيم في مسرحيته " عصفور من الشرق " انا البدوي يقاتل.

س - البدوي ما عندوش حضارة ؟ دا اتهام خطير.

ج - حضارة البدوي حضارة ترابية وغريزية انا ضد الغريزة. الانسان عندما يندفع بغريزة الثأر ولا يكون امامه سوى الخنجر كوسيلة للتفكير، انا ضد هذه الاشياء.

س - واضح تأثير الضباب اللندني على الاستاذ نزار، لكن بالنسبة لنظرتك للمرأة وانت شاعر الحب ، اكتشافك للمرأة بعد مراحل القاهرة وتركيا ودمشق هل كان هناك ابواب جديدة؟

ج - انا كتبت في لندن كتاب هو احسن كتبي الشعرية وهو لا يزال انه ديوان " قصائد من نزار قباني". هذا الكتاب هو نتيجة اصطدام الشرق بالحضارة الغربية وهناك بديت اكتشف المرأة الصديقة. هذا كان له مبرر لاول مرة. انا في شعري استعمل بدل حبيبتي صديقتي. هناك كنت الاقي مثلا سيدة ويكون بامكاني ان اجلس معها في مقهى واسهر معها وأتحدث معها بدون اي مطلب آخر هذا كان ناقصني بالشرق. بالشرق كل الابواب مسدودة لغاية الان في صعوبة لأن تتحدث الى امرأة كصديقة.

س - الشرقي لا يؤمن بالمرأة كصديقة هو حاكم عليها ان لا تكون صديقة كما تقول في "مذكرات امرأة لا مبالية" تتحدث بلسان المرأة وتقول الشرق حق علينا، لا ينظر اليه الا كوليمة.

ج - لذلك وانا في لندن تحوّلت المرأة في نظري من دمية الى قضية، وهي في نظر كثيرين من الرجال الشرقيين دمية. هناك قلت لا، المرأة ليست دمية انا بدت انظر الى المرأة على انها قضية. وكتبت قصائد مثل "حبلى"، و"طوق الياسمين"، و"رسالة من سيدة حاقدة" كل هذه القصائد سميتها "قصائد من نزار"

س - نرجع الى "الشؤون الصغيرة"

ج - يسعدني ان اكون شاعر الشؤون الصغيرة واني اعني ان الاشياء الكبيرة مش أشياء شعرية، يحكي عن ناطحات سحاب لا، لكن يحكي عن منفضة سجائر موجودة امام حبيبين عم يشربوا فنجان قهوة في مطعم، هذا شيء خطير. حاولت ان اضيء هذه الاشياء، اضأتها في اكثر من قصيدة استعملت كلمات مثل سجائر مثل جرائد قديمة مثل كتب لم يكن مسموح لهذه الاشياء ان يتعامل معها شعريا لذلك كتبت هذه القصيدة وسميتها "شؤون صغيرة". هذه بعض مقاطع من قصيدة "شؤون صغيرة":

شؤون صغيرة

تمرّ بها انت .. دون التفات

تساوي لديّ حياتي

- جميع حياتي..

حوادث .. قد لا تثير اهتمامك

أعمرّ منها قصور

وأحيا عليها شهور

وأغزل منها حكايا كثيره

وألف سماء ..

وألف جزيره ..

شؤون ..

شؤونك تلك الصغيره

فحين تدخن أجثو أمامك

كقطتك الطيبة

وكلي أمان

ألاحق مزهوه معجبه

خيوط الدخان

توزعها انت حول المكان

دوائر .. دوائر

وترحل في آخر الليل عني

كنجم ، كطيب مهاجر

وتتركني يا صديق حياتي

لرائحة التبغ والذكريات

وأبقى انا ..

في صقيع انفرادي

وزادي أنا .. كل زادي

حطام السجائر

وصحن .. يضمّ رمادا
يضمّ رمادي ..
و حين أكون مريضه
وتحمل أزهارك الغاليه
صديقي .. الي
يعود لي اللون والعافيه
وتلتصق الشمس في وجنتي
وأبكي .. وأبكي .. بغير اراده
وأنت تردّ غطائي عليّ
وتجعل رأسي فوق الوساده ..
تمنيت كلّ التمني
صديقي .. لو أنّي
أظلّ .. أظلّ عليه
لتسأل عنيّ
لتحمل لي كلّ يوم
ورودا جميله ...
و حين نكون معافي الطريق
وتأخذ - من غير قصد - ذراعي
أحسّ انا يا صديق ..
بشيء عميق

بشيء يشابه طعم الحريق
على مرفقي ..
وأرفع كفيّ نحو السماء
لتجعل دربي بغير انتهاء
وحين أعود مساءً الى غرفتي
وانزع عن كتفيّ الرداء
احسّ- وما انت في غرفتي
بان يديك
تلفان في رحمة مرفقي
وأبقى لامسح يا مرهقي
مكان اصابعك الدافئات
على كمّ فستاني الازرق ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع
كأنّ ذراعي ليست ذراعي ..
ويوم أجيء اليك
لكي استعير كتاب
لازعم اني اتيت لكي استعير كتاب
تمدّ اصابعك المتعبه
الى المكتبة
وأبقى انا .. في ضباب الضباب

كأني سؤال بغير جواب

أحدق فيك وفي المكتبه

كما تفعل القطّة الطيّبة

تراك اكتشفت ؟

تراك عرفت ؟

بأنّي جنّت لغير الكتاب

وأنّي لست سوى كاذبه

.. وامضي سريعاً الى مخدعي

أضمّ الكتاب الى اضلعي

كأنّي حملت الوجود معي

وأشعل ضوئي .. وأسدل كل الستور

وأنبش بين السطور .. وخلف السطور

كأنّي عصفورة جائعة

تفتّش عن فضلات البذور

وأعدو وراء الفواصل .. اعدو

وراء نقاط تدور

ورأسي يدور ..

لعلك .. يا .. يا صديقي الاثير

تركت باحدى الزوايا ..

عبارة حبّ قصيره ..

جنينة شوق صغيره
لعلك بين الصحائف خبأت شيئاً
سلاماً صغيراً.. يردّ السلام اليّ .

س - بتتكلم بشعور المرأة ، استاذ نزار ، كما ربما لا تستطيع المرأة نفسها ان تعبّر عنه، هذه الظاهرة القبانية الدائمة كيف يستطيع نزار ان يدخل داخل المرأة ويعبّر عن مشاعرها الدقيقة بهذه الدقة ؟

ج - والله انا كتبت واستقطبت المرأة وتقمّصت فيها واني لاحظت ان المرأة غير قادرة على ان تفعل ذلك ، مش غير قادرة لعدم امكانية فيها، لا. المرأة في نظري لاتقلّ نكاءاً وموهبة عن الرجل ، لكن يبدو ان فكرة العيب لا تزال تلاحقها، ان الظروف التاريخية لا تزال تطارد المرأة، فانا اذا فعلت ذلك فكمعملية من اعمال الثورة التي تهدف الى التحرير ربما يجيء يوم تستطيع المرأة في بلادي ان تقول كل شيء بدون خوف وتقتل ابو زيد الهلالي.

س - في لندن كتبت قصيدتين " خطط " و " حشيش وقمر " ، دي نوقشت في البرلمان السوري. ايه اسباب انها تناقش في البرلمان ،وايه الاباحية الشديدة ؟

ج - في لندن صار هل اصطدام الكبير بين التاريخ - رسوباتي وبين الحضارة الغربية. شفت ان الحضارة الغربية حضارة واقعية وموضوعية وتسعى وراء الرقم. هنا لا بد لي من ان اذكر قصة: كنت ماشي انا وصديقة في " الهايد بارك " كنا منتكلم وكانت الدنيا ليل وليالي لندن وحوالي الساعة العاشرة كأنه نهار، طالع القمر ويكاد يلامس الشجر ، هي بتتكلم وانا فجأة توقفت مثل المسطول . تطلعت فيّ وقالت مالك ؟ قلت القمر القمر. قالت يعني ايه القمر خليني انا اكمل حديثي وهو يكمل دربه. القمر ما لنا علاقة فيه ؟

رأسا الحقيقة تفجرت في نفسي فكرة القصيدة . هم القمر عندهم لا يعني شيئاً، هم يعيشون على الارض وعلى الواقع ، يسعون في سبيل مجدهم ومجد امتهم ونحن قاعدين

ليالي بكاملها نبصُّ للقمر ونتطلَّع اليه بشغف كأننا مسطولين وناكل ونشرب. جاءت الى ذهني افكار بلادي. ماذا يفعل القمر ببلادي؟ يشلُّ حركة مئة مليون عربي وهم يستمعون الى الغناء الشرقي ويتطلعوا الى القمر ويغرقوا في هذه الغيبوبة الجميلة فهذا هو الصراع الكبير الي حاولت قول لاهل بلادي قوموا، لا وقت للغيبوبة بهذا العصر ولا ازال اقول لهم قوموا ، نحن بحاجة الى تحطيم كل هذه الخرافات القديمة.

س - هذه كانت اول ثورة لك بالقلم على التجمد الاجتماعي؟

ج - نعم على الغيبوبة على الخدر على الاتكالية على الغناء القديم. غناؤنا دليل على الاتكالية، غناء التخت الشرقي القديم نقعد نسمع جملة موسيقية واحدة ثلاث ساعات . صارت ضجة كبيرة اتهمت اني انا ممثل لبلادي واشتمها. قالوا انت لا يجوز لك ان تتكلم وانت ممثل لسورية وهذه اهانة للبلاد. كان في وزير خارجية عظيم جدا المرحوم خالد العظم، جاءوا اليه وعملوا له استجاب وطلبوا منه استدعائي وتسريحي من الخارجية ومحاكمتي. فوقف وقلهم : " انا نزار قباني بالنسبة لي كموظف في الخارجية ، دبلوماسي ناجح وليس في ملفه اي شيء يدينه ، اما كونه شاعر وكونه كتب قصيدة في موضوع معين لم ترضيكم، فهذا شيء من اختصاصه. انا كوزير خارجية لي سلطة على نزار قباني الموظف والدبلوماسي ولكن لا سلطة لاحد على الشاعر"، وفعلا حماني الرجل . والاطرف من هذا الحدث ان احد النواب وقت فتحت الجلسة قام وقرأ القصيدة ومن سوء حظهم كان القاؤه جيد . ما ان انتهى من قراءة القصيدة اراد ان يقنع الناس حتى بدا النواب بصفه وباخ الاستجاب.

التجربة الصينية: سبع دقائق و ٤٦ ثانية

س - هل اثرت هذه الحادثة بنقلك الى الصين؟

ج - نقلت بصورة طبيعية من لندن الى الصين.

س - الصين عالم قائم بذاته. سور الصين العظيم. كل انسان ضروري ان يرى هذا العالم ويستوحي اشياء جديدة منه.

ج - رحلتي الى الصين اسميها رحلة الحزن، هناك كنت شاعر اني في خارج اسوار الشعر واني مثل الصفصافة الباكية حزين ، لاني انا رجل اعيش في مجموعة الحريات الصغيرة. الحريات الصغيرة التي تسعد كل انسان ، هناك لم استطع ان امارس هذه الحريات الصغيرة. كنت في الصين الشعبية سنة ٨ ١٩٥٨، زمن الوحدة بين سورية ومصر وصاروا سلك دبلوماسي واحد فانا ذهبت الى هناك وقعدت سنتان. بقيت مثل الصفصافة الحزينة. هذا الكلام لا يمنعني ان اقول ان تجربة الصين شي ء لم يحدث. التجربة الصينية من اروع التجارب في العالم، يكفيها انها استطاعت ان تحوّل ٨٠٠ مليون فم يأكل الى ٨٠٠ مليون ساعد وهذا شيء خطير. كذلك لا بد لي ان اشير ان الشعب الصيني شعب عظيم هو فنان في كل شيء، فنان بحكمته، فنان بفلسفته، فنان برسمه ، فنان بطبخه ، فنان بحزنه وفنان بصبره.

س - وانت في مصر وانت في الشرق ودمشق وتركيا، شفت المرأة الشرقية وصورتها اجمل تصوير هي الفاكهة التي تعيش وتموت خلف الاسوار ولا يأكلها احد، وفي لندن اكتشفت المرأة الصديقة. كيف يكتشف نزار المرأة الصينية .

ج - لم يكن بالامكان اكتشاف اي انسان صيني الحقيقية، نحن كدبلوماسيين كان محظر عليهم ان يكلمونا، لا يوجد تجربة بالصين ، لا تستطيعين ان تكلمي احد، انت تتحولين الى آلة صغيرة جدا في ساعة الدولة الكبيرة.

المرأة الصينية بمنتهى الانوثة وبمنتهى العذوبة، وانا اعتبر ان المرأة الصينية والمرأة اليابانية خلاصة الانوثة. لا اتصوّر ان هذه المرأة يمكن ان تكون شريرة فعندما تبصّ بوجه صينية وتركيب هذا الوجه وهذا الصوت ينفي كل شرّ عنها.

س - كنت اتمنى ان اعرف هل تشبه المرأة الصينية المرأة الشرقية العربية في شي ء .

ج - نعم الصين القديمة كانت تشبه. كان في نظام الكونكريناج ونظام الحريم الموجود عندنا كان موجود عندهم. الشرق الادنى والاقصى كله بنفس المأساة ، الا ان النظام

الاشتراكي الصيني حول المرأة لامرأة عاملة. انا دخلت مصانع وشففت بنات تشتغل تماما مثل الرجال. ليس هناك عاطل عن العمل في الصين، المرأة تشتغل على قدم وساق مثل الرجل. المرأة تحارب وتلد. رحلتي الى الصين كانت رحلة الحزن، كتبت " نهر الاحزان" هذه القصيدة كتبتها عن حزني الخاص : هذه مقاطع من قصيدة " نهر الاحزان"

عيناك ..كنهري أحزان

نهري موسيقى .. حملاني

لوراء. لوراء الازمان

نهري موسيقى، قد ضاعا

سيدتي .. ثم اضاعاني

الدمع الاسود فوقهما

يتساقط أنغام بيان ..

عيناك. وتبغي. . وكحولي

والقدح العاشر اعمانني

وأنا في المقعد .. محترق

نيرانني تأكل نيرانني

أقول أحبك .. يا قمري

أه .. لو كان بإمكانني

فأنا لا املك في الدنيا

الأعينيك وأحزاني ..

سفني في المرفأ باكية

تتمزق فوق الخلجان

ومصيري الاصفر حطمني
حطم في صدري ايماني
أسافر دونك ليلكتي
يا ظل الله بأجفاني
يا صيفي الاخضر . يا شمسي
يا أجمل .. أجمل ألواني
هل ارحل عنك .. وقصتنا
أحلى من عودة نيسان
أحلى من زهرة غاردينيا
في عتمة شعر اسباني
أقول أحبك يا قمري
آه.. لو كان بإمكانني
فأنا انسان مفقود
لا اعرف في الارض مكاني
ضيعني دربي .. ضيعني
اسمي .. ضيعني عنواني
تاريخي! ما لي تاريخ
انني نسيان النسيان
اني مرساة لا ترسو
جرح بلامح انسان

ماذا اعطيك ؟ أجيبيني
 قلقي ؟ الحادي ؟ غثياني
 ماذا اعطيك سوى قدر
 يرقص في كفّ الشيطان
 أنا أَلْف احبّك .. فابتعدي
 عنّي .. عن ناري ودخاني
 فأنا لا املك الدنيا
 إلا عينيك .. وأحزاني ..

التجربة الاسبانية: ٩ دقائق و ٥٠ ثانية

س - وزارة الخارجية السورية كانت بتنقلك نقلات ما فيها خط بيان واضح ابدا ، من تركيا الى لندن ، من لندن الى بكين من بكين الى مدريد. من نهر الاحزان الى نهر الفلامنكو والرقص والانصات .

ج - نقلوني الى بيتي ، انا اعتبر ان اسبانيا بيتي بكل معنى الكلمة. تصوّري ان العربي عندما يمشي على تراب اسبانيا، تحت كل حجر بيطلعه خليفة ، تحت كل حجر بيطلعه تاريخ بيطلعه مأذنه.

س - هل كنت ساعات وانت تلاقي بيت يذكرك بدمشق لدرجة ان كنت تروح تدخل ايدك لتجيب 'البنطلون' بحثا عن مفتاح بيتنا في دمشق

ج - انا ذهلت عندما شفت قرطبا ورأيت البيوت القرطبية، نفس ترتيب بيتنا القديم في دمشق ، بحيث كان بإمكانني ان اغمض عينيّ واتوجه رأسا الى سريري. غرفتي التي كنت انام فيها في دمشق كان بسهولة ممكن ان الاقيها في قرطبة وغرناطة. جرت معي حادثة احب ان ارويها لك: كنت اتجول في حدائق العرين في غرناطة، ماشي انا

وسفيرين عربيين وحوالينا اكثر من ٢٠٠ - ٣٠٠ سائح ، وعند ما كنا نستريح على مقعد خشبي، جاءت قطة بيضاء ونطت وقعدت على حرجي ، لم تكتف بل فتحت قميصي وادخلت رأسها لجوا وبدأت تشمني، شعرت بشعور غريب بحالة عجيبة تاريخيا. التفت الرجلان اليّ وقالوا ما هذا؟ قلت : هذه القطة من سلالتنا ، هذه يمكن جدها الكبير جاء مع طارق بن زياد على نفس المركب وهي الآن تبحث فيّ عن وطنها الضائع . هذه القطة كيف تركت ٣٠٠ سائح اميركي وفرنسي وطياني وتركتكم انتم، سفيرين عربيين ، ولحقتني انا الدمشقي ، هي الحقيقة شمت رائحة دمشق. ان هذا احساسى. وعلى ذكر الروائع اعتقد ان العرب جاؤا الى اسبانيا قعدوا حوالي ٧ - ٨ قرون ثم انسحبوا تاركين الروائع العربية. يعني انا الروائع التي شميتها هناك في جنات العرين لم اشمها الا في بيتي الدمشقي: الفل الياسمين الثمار الليمون .

س - نظرة المرأة للرجل ونظرة الرجل للمرأة. شرقية بحثة؟

ج - اذا خرجت عن برشلونة ومدريد، فلا يزال في القرى الاسبانية من الثأر الموجود ، الثأر للشرف . الشاعر الاسباني كتب عن هذه المواضيع وهم لا يختلفون عنا، ما حدا بيهرب من دمه، نحن ورثناهم كل هذه العاهات مع الاسف .

س - لك صورة هنا وأنت بقى فلامنكو خالص ، لا ، قبل الفلامنكو لك صورة بمنتهى الفخامة والجمال وانت قاعد بتقدم اوراق اعتمادك لفرنكو ودي سنة ١٩٦٤.

تطبعت بالجو الاسباني وانسجمت فيه استاذ نزار ؟ وهل قدرت تقترب من اللغة الاسبانية؟

ج - طبعت بالجو الاسباني وانسجمت فيه انا وجدت نفسي رأسا في جوي.

س - في لك صورة هنا وأنت ماسك الغيتار كنت عايزة اسألك انت بتلعب غيتار ولا بس ماسكها بالصورة كذا عشان تتصور ؟

ج - أنا حاولت كون موسيقي بزمان ولكني فشلت مع الاسف. اذكر هذه الصورة اخذت في قرطبا كنا نحتفل في ذكرى الشاعر ابن حزم الاندلسي كانت احتفلت فيه الحكومة

الاسبانية لانه هو فيلسوف كبير ومفكر وشاعر، وبمناسبة الاحتفال بذكراه دعيت انا كممثل لسوريا وذهبتنا وجابوا فرقة فلانكو وصورونا.

س - هل قدرت تقترب من اللّغة الاسبانية ، بقيت تقرأ أسباني؟

ج - مش اقتربت ، انا تعلمت اسباني في الحقيقة.

انا وجدت نفسي وانسجمت بالجو الاسباني وتعلمت اللغة الاسبانية. انا كل ما اصل الى بلد اعتقد انه اذا لم يتعلم الانسان لغة البلد يبقى لآخر عمره غريب عنه، لذلك تعلمت وذهبت الى المدرسة حتى توصلت الى درجة اني اكتب واطب باللغة الاسبانية، ولي ديوان شعر مترجم الى الاسبانية. اخذوا من كل ديوان قصيدة وسموه " قصائد حب عربية" ترجمه الى الاسبانية مستشرق شاب اسمه بدر ومارتيني. انا اخاف من الترجمة ، انا اعتبر ان الشعر فيه سر لا يمكن نقله الى اي لغة اخرى، الا اني حسيت عندما كلماتي تترجم للاسبانية على انها تحتفظ برونقها العربي. حين طبع لي المعهد الاسباني ديوان ، صار احتفال وقاموا طالبات من جامعة مدريد في كلية الاداب ، قاموا يقرأوا الشعر بالاسباني لحد انه التأثير الذي لاقاه هذا الكتاب وهو يقرأ بالاسباني كما لو كنت انا اقرأ شعري في بيروت او دمشق او القاهرة، وهذا دليل ان الاسبان يشاركون حتى في منطق العواطف.

س - ما حاولت تترجم شعرك ابدأ الى لغة اخرى؟

ج - شعري ترجم ولكن مش بشكل كتاب . ترجم الى الفرنسية والى الانكليزية لكن انا اعتقد جديا ان اعمل كتاب شعر مترجم الى الفرنسية . انا شعري لا يعتمد على اللغة القاموسية، شعري شعر صور. اعتقد ان الصورة قابلة الى النقل. هلق حاولي تترجمي المتنبي او ابو فراس او ابو تمام، هؤلاء عبارة عن شعراء وضعوا كل ثقلهم على الاداء اللغوي ولا يمكن ان يترجم. توفيق الحكيم قابل للترجمة ،طه حسين لا، لان طه حسين يلعب على اللفظة، بينما توفيق الحكيم عنده الصورة والفكرة.

الهروب من السلك الدبلوماسي وأختيار الحرية: ٥ دقائق و ٥ ثانية

س - بعد مدريد، استاذ نزار، هربت من السلك السياسي ، هل هذا القرار اتخذته بصورة مفاجئة؟

ج - لم اتخذ قراري بصورة مفاجئة، دائماً وفي كل لحظة من لحظات عمري الدبلوماسية كنت اشعر اني اناقض نفسي ، اشعر بحالة من النزاع الداخلي والصراع. كنت اشعر دائماً انني اكبر من الوظيفة وان الوظيفة نقيصة لي. شيء ثاني خلاني اترك الدبلوماسية هو اني اؤمن ان الفنان لازم يكون مع جمهوره لازم يطلع على التلفزيون ويعمل امسيات شعرية ويكتب. فتصوري انا اقعد بالصين وابعث كل سنة او سنتين قصيدة، هذا كان نوع من الخيانة عندي، كنت اشعر اني اخون نفسي، ولا اخون قضية الادب ، لذلك اخترت الحرية واخترت الشعر.

س - كتبت حاجة في مرحلتك الدبلوماسية الاخيرة ؟

ج - حا اقرأ قصيدة تمثل الخيط التاريخي الذي يمتد بين دمشق ودمشق الثانية التي هي قرطبة وكذلك غرناطة. في هذه القصيدة يبدو هذا الربط الصحيح.

قصيدة "غرناطة"

في مدخل (الحمراء) .. كان لقاؤنا

ما أطيب اللقيا بلا ميعاد

عينان سوداوان .. في حجريهما

تتوالد الابعاد من ابعاد..

هل انت اسبانية ؟ ساءلتها

قالت : وفي غرناطة ميلادي

غرناطة ! وصحت قرون سبعة

في تينك العينين بعد رقاد

وأمية راياتها مرفوعة

وجيادها موصولة بجياد
ما اغرب التاريخ كيف اعادني
لحفيدة سمراء من أحفادي ..
وجه دمشقّي .. رأيت خلاله
أجفان بلقيس ، وجيد سعاد
ورأيت منزلنا القديم .. وحجرة
كانت بها أمّي تمدّ وسادي
والياسمينة ، رصّعت بنجومها
والبركة الذهبية الانشاد..
ودمشق ... أين تكون ؟ قلت ترينها
في شعرك المنساب نهر سواد
في وجهك العربيّ ، في الثغر الذي
ما زال مختزنا شمس بلادي ..
سارت معي .. والشعر يلهث خلفها
كسنايل تركت بغير حصاد
يتألّق القرط الطويل بأذنها
مثل الشموع بليلة الميلاد
ومشيت مثل الطفل خلف دليّتي
وورائيّ التاريخ كوم رماد
الزخرفات أكاد اسمع نبضها

والزركشات على السقوف تنادي
قالت : هنا (الحمراء) زهو جدودنا
فاقرأ على جدرانها امجادي
أمجادها !!! ومسحت جرحا نازفا
ومسحت جرحا ثانيا بفؤادي
يا ليت وارثتي الجميلة ادركت
ان الذين عنتهم اجدادي
عانقت فيها عندما ودعتها
رجلا يسمي (طارق بن زياد)..

س - ولما تركت مدريد واسبانيا ودعوك كما ودعتها بمقال مهم قوي بأهم جريدة
يومية.

ج - هذا مقال اعتدّ به كثيرا لانه مقال افتتاحي نشر بصحيفة اي. بي. سي. الرئيسية
وكتبوا: رجل كبير وفنان وسفير في وزارة الخارجية ومدير العلاقات الثقافية هو
الفونسو دي لا سيرنا. الكلام المكتوب فيه جميل جدا. يقول الفونسو دي لا سيرنا:
"دبلوماسيون كثار جاءوا الى اسبانيا وراحوا لا نكاد نذكر عنهم شيء ولكن اليوم
يغادرننا دبلوماسي ونحتفل بوداعه ونحبه ونكرمه ، ليس لانه دبلوماسي ولكن لأنه شاعر
".

-1-

\

